

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[343] مسألة الأضحية التي إعتبرتها الآية (36) من نفس السورة – وبصراحة – من شعائر الأ، إلا أن من الواضح مع كل هذا إحتفاظ الآية بمفهوم شمولي لجميع الشعائر الإسلامية، ولا دليل على إختصاصها – فقط – بالأضاحي، أو جميع مناسك الحج. خاصة أن القرآن يستعمل "من" التي يستفاد منها التفريق في مسألة أضحية الحج، وهذا دليل على أن الأضحية من شعائر الأ كالصفا والمروة التي تؤكد الآية (158) من سورة البقرة على أنهما من شعائر الأ (إن الصفا والمروة من شعائر الأ). ويمكن القول: إن شعائر الأ تشمل جميع الأعمال الدينية التي تذكر الإنسان بأ سبحانه وتعالى وعظمته، وإن إقامة هذه الأعمال دليل على تقوى القلوب. كما تجب ملاحظة أن المراد من عبارة (يعظم) ليس كما قاله بعض المفسرين من عظمة جذة الأضحية وأمثالها، بل حقيقة التعظيم تعني تسامي مكانة هذه الشعائر في عقول الناس وبواطنهم، وأن يؤدوا ما تستحقه هذه الشعائر من تعظيم وإحترام. كما أن العلاقة بين هذا العمل وتقوى القلب واضحة أيضاً، فالتعظيم رغم أنّه من عناوين القصد والنية، يحدث كثيراً أن يقوم المنافقون بالتظاهر في تعظيم شعائر الأ. إلا أن ذلك لا قيمة له، لأنّه لا ينبع من تقوى القلوب. إنّما تجده حقيقة لدى أتقاء القلوب. ونعلم أن مركز التقوى وجوهر إجتناّب المعاصي والشعور بالمسؤولية إزاء التعاليم الإلهية في قلب الإنسان وروحه، ومنه ينفذ إلى الجسد. لهذا نقول: إن تعظيم الشعائر الإلهية من علامات التقوى القلبية⁽¹⁾. وقد جاء في حديث عن الرسول الأكرم (صلى الأ عليه وآله وسلم) أنّه قال وهو يشير إلى صدره _____ 1 – بما أن هناك إرتباطاً بين الشرط والجزاء، وكلاهما يخصان موضوعاً واحداً، نجد في الآية السالفة الذكر محذوفاً تقديره (ومن يعظم شعائر الأ فإن تعظيمها من تقوى القلوب). ويمكن أن يكون الجزاء محذوفاً فتكون عبارة "فإنّها من تقوى القلوب" علّة نابت عن معلول تقديره: "ومن يعظم شعائر الأ فهو خير له فإن تعظيمها من تقوى القلوب".